وعقد الولاية وقيل ان معاوية لما نظر الى العسكرين فير كبور المهالك برّا وبحرًا
ويطرحون انفسهم واموالهم في المقاطع غرقا وغربا ويوطنون انفسهم على
احد امرين اما فوت الارواح واما حصول الارباح حتى يحصل لهم
بذلك ربح عظيم ومال جسيم وعلق نفيس واما القسوقي الذي قد ضعف
قلبه ورق عزمه لا يكاد يقلع قلبه عن علاقته من نفسه وماله فهم من بيته
الى كانه طول عمره لا يصل الى مرتبة شريفة كالملوك ولا الى ربح عظيم كالتجار الخاطرين
وان نال في سوقه ربحا على بضاعته درهما او ذلك لكثير وذلك لتعلق قلبه بشيء معلوم
فهذا في الدنيا وابنائها واما ابناء الآخرة فرأس مالهم هذه الخصلة التي هي التوكل
وقطع القلب عن العلايق لما احكموها وحصلوها حققها تفرغوا لعبادة الله تعالى
وتمكنوا من التفرد عن الخلق والسياحة في الارض واقتحام الفيافي واستيطان الجبال
والشعاب فصاروا اقواء العباد والرجال الذين هم احرار الناس وملوك الارض
بالحقيقة يسيرون حيث يشاؤن ويرتعون حيث شاؤن ويقصدون من
الامور العظام عليا وعبادة ما يشاؤن لا عايق لهم له ولا حاجز لهم دونهم
وكل الاماكن لهم واحدة وكل الازمان عندهم واحد واليه الاشارة بقوله صلى الله
عليه وسلم من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن سره ان يكون اقوى الناس
فليتوكل على الله ومن سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله اوثق منه بما في يده
وعن سليمان الخواص لو ان رجلا توكل على الله سبحانه بصدق النية لاحتاج اليه

الامر او من دونهم وكيف يحتاج ومولاه الغني الحميد وعن ابراهيم الخواص
قال لقيت غلاما في التيه كانه مغرة سبيكة فضة قلت له الى اين يا غلام قال الى مكة قلت
بلا زاد ولا راحلة فقال يا ضعيف اليقين الذي يقدر على حفظ السموات والارض
يقدر ان يوصلني الى مكة بلا زاد ولا راحلة فلما دخلت مكة اذا هو في الطواف
يقول يا نفس سيحيى ابدا ولا تجبي احدا الا الجليل الصمد يا نفس موبخ كيد
فلما راى قال يا شيخ انت بعد على ذلك الضعف وقال ابو مطيع لحاتم الاصم
بلغني انك تقطع المفاوز بالتوكل من غير زاد قال لحاتم زادي اربعة اشياء قال
اري الدنيا والاخرة مملكة لله تعالى واري الخلق كلهم عبيده وعياله واري الارزاق
والاسباب كلها بيد الله تعالى واري قضاء الله تعالى نافذا في جميع ارض الله تعالى ولقد
احسن من قال اري الزاهد في روح وراحة قلوبهم عن الدنيا مزاحة
اذا ابصرتهم قوما ملوك الارض شيمتهم سماحه واما الامر
الثاني الذي اقتضى التوكل على الله سبحانه وتعالى في هذا الشان هو ما في تركه من الخطر
العظيم والامر الكبير قلت ليس لله تعالى امر من غيره كما خلق فلم يكتف بالدلالة
حتى وعد فقال ان الله هو الرزاق فلم يكتف بالضمان حتى اقسم فقال فورب
السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فلم يكتف بذلك كله حتى امر
بالتوكل وابلغ انذر فقال وتوكل على الحي الذي لا يموت وقال سبحانه وعلى الله
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فمن لم يتيقن قوله ولم يعتبره ولم يكتف بوعده ولم